كما رأينا قوله ـ أعلاه ـ الذي كان وصفاً للأثر القرائي الذي أحدثه بيت ابن المعتز[6].

وكأن البرق مصحف قارٍ
فانطباقاً مرةً وانفتاحا

وهذه المحاولة انتجت لنا منظوراً نقدياً متطوراً يعتمد على الوصف ويجعل الإبداع أولاً، ثم التقييم النقدي، مبنيّاً على سبر أثر النص في القارىء ومن هنا جاءنا هذا المبدأ الجديد، مبدأ (الجمع بين شدة الائتلاف وشدة الاختلاف) بين أركان التشبيه. ولم يبحث الجرجاني عن المشاكلة بين الشيئين اللذين هما غير متشاكلين. بل إنه ليرى أن جمع المتنافرات والمتباينات هو إلى الشاعرية أقرب من الجمع بين (الأشياء المشتركة في الجنس المتفقة في النوع). وهو يقول في هذه المسألة عن تقرير الشبه بين الأشياء المختلفة: (إن الأشياء المشتركة في الجنس المتفقة في النوع تستغني بثبوت الشبه بينها وقيام الاتفاق فيها عن تعمل وتأمل في إيجاب ذلك لها وتثبيته فيها، وإنما الصنعة والحذق، والنظر الذي يلطف ويدق في أن تجمع أعناق المتنافرات والمتباينات في ربقة، وتعقد بين الأجنبيات معاقد نسب وشبكة. وما شرفت صنعة، ولا ذكر بالفضيلة عمل، إلا لأنهما يحتاجان من دقة الفكر ولطف النظر ونفاذ الخاطر إلى ما لا يحتاج إليه غيرهما، ويحتكمان على من زاولها والطالب لهما من هذا المعنى ما لا يحتكم ما عداهما. ولا يقتضيان ذلك إلا من جهة إيجاد **الائتلاف في**

(6) الجرجاني: **أسرار البلاغة**، 140.